



الجامعة الأهلية
AHLIA UNIVERSITY
BAHRAIN

حول الفهم الشعبي للتاريخ

Your
global
future
begins
here

College of Arts,
Science &
Education

إسماعيل نوري الربيعي

- (لما استعمل الرواة الكذب ، استعملنا لهم التاريخ) سفيان الثوري 97-161 هجرية . السيوطي 911 هجرية ، الشماريخ في علم التاريخ ، تقديم إبراهيم السامرائي ، مطبعة أسعد ، بغداد 1971 ، ص 13.
- السخاوي 902 هجرية ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، (يحكي من الحوادث ما يلعب بالنفوس ، و تجب إزالته بالفؤوس) ص 111. تحقيق فرانز روزنثال ، مطبعة العاني ، بغداد 1963.

● فرضية القراءة

- يحضر السؤال عن التاريخ بقوة لافتة، الجميع يتساءل حول هذا المصطلح الذي ما انفك يثير المزيد من الأسئلة الفرعية .
- سؤال التاريخ يتعلق بالحياة مباشرة بل وبالتفاصيل التي تميزها. حيث الارتباط الوثيق بالمجتمع والسياسة والاقتصاد.
- فيما يبقى التعالق حاضرا حول هذا المعطى الذي يبقى رهنا بإرادة القوة والسلطة و النفوذ.
- باعتبار إرادة التوجيه التي تنطوي عليها مصالح النخبة في توضيب وتنظيم هذه التركيبية من المعنى و العمل على جعلها، و سيلة للتوجيه و السيطرة على عقلية الجماهير.

- ما انفك التاريخ مرتبطا بأصحاب النفوذ و السراة و الوجهاء و أصحاب السلطة العليا، حتى غدت مقولة (التاريخ يكتبه المنتصرون) من البديهيات التي لا تقبل الجدل . فالجميع متفق عليها ولا تحتاج إلى مزيد من التوضيح.
- فيما انحصرت القراءة العلمية للتاريخ (النقد و التحليل و الذاتي و الموضوعي) بالمجمل من النصوص و الوثائق و المصادر و المراجع ، التي تصب في ذات الاتجاه.
- وهكذا راح التاريخ يكشف عن مدى الهوة السحيقة، تلك التي تفصل بين الصفة والنخبة بإزاء المهمشين الذين شغلوا المساحة الضئيلة من عناية المؤرخين.

- فرضية القراءة تقوم على الحضور الدائب و المستمر لأسئلة الناس العاديين غير المتخصصين،
- حول (هذا التاريخ) هل هو حقيقة أم خيال؟ هل يجب إعادة كتابة التاريخ؟
- هل التاريخ موعظة و اعتبار ؟ و إذا كان كذلك فهل تتكرر أحداث التاريخ ؟ هل التاريخ مشوه ؟ و هل يحتاج إلى تعديل؟

● قضايا القراءة

- كيف يؤثر التاريخ في الناس؟ و ما هو موقف الناس من التاريخ؟ ما هو التصور السائد حول التاريخ؟
- و كيف يمكن الوعي بتحويلات التاريخ؟ و أين الناس من التاريخ على المدى الطويل ، و المدى القصير؟
- و كيف يمكن صياغة الأسئلة المتعلقة بالتاريخ ، تلك التي تتعلق بالجوهر؟
- و ما هو الممكن و المتاح ، حتى يصار نحو الانفتاح على منهجية جديدة تتوافق و التطورات التي يشهدها العالم .

- لا سيما أهمية الوقوف عند الفواصل الزمنية الكبرى في تاريخ البشرية ، حيث القرن العشرين الذي اختصر المجمل من الأنشطة البشرية ، وراح يعبر عنها في ثورة من المخترعات و المكتشفات الكبرى التي غيرت وجه العالم.
- فيما جاء الثورة الرقمية و المعرفية التي راحت تشير إلى القفزات المتسارعة ، و اللهاث الذي لا يعرف التوقف في الكشوفات على صعيد البرمجيات و الثورة الاتصالية.

● إشكاليات القراءة

- هل يمكن الاستغناء عن التاريخ؟ هل نحن بحاجة إلى التاريخ؟ فيما جل الرزايا و البلايا التي تعيشها البشرية اليوم مشتقة من التاريخ!؟
- الإشكالية الأهم تقوم على الطريقة الممكنة لمعرفة واقع العلاقات الاجتماعية ودنيا العيش و التفاصيل التي تحيط بالحياة . هذه المعرفة تكون بمثابة الطريقة نحو الخوض في
- **فعالية التحليل** تلك التي تقوم على ؛ رصد التغيرات ، القدرة على الملاحظة ، التحليل المتاح أمام الجميع، و طريقة التحليل الشخصي .
- فيما تتبدى **فعالية التفسير** بناء على ؛ الوقوف على الأسباب الكامنة وراء الظاهرة ، التراكم المعرفي ، الفهم العميق ، التفسير فعالية غير متاحة للجميع.

● منهجية القراءة

- تسعى القراءة نحو الوقوف على جملة من الاصطلاحات و العمل على ضبطها منهجيا ، سعيا نحو توظيفها في قراءة الظاهرة . مثل ؛
- الأيديولوجيا تلك التي يصفها من نحت الاسم (دي تراسي 1836) بوصفها معالجة الممارسة من خلال المسعى نحو تحليل العقلية .
- فيما انحدر الحال بالأيديولوجيا حتى وصفها ماركس 1883 بأنها حل وهمي لمشكلة حقيقية .
- حتى قيل إذا انحدرت الأبستمولوجيا تحولت إلى أيديولوجيا ، و إذا انحدرت الأسطورة تحولت إلى خرافة؟!!

- و هكذا لم يتردد المؤرخ الفرنسي بول فين عن القول ؛ حرر التاريخ من الأيديولوجيا ، عندها سيكون كل شيء قابلا للتفسير.
- إنها التعبئة و ما يتبعها من تحريض و تعصب للفكرة ، تلك التي قال عنها المؤرخ البريطاني أنتوني سميث 2016 ؛ عبء الناس حول فكرة ما ، سرعان ما ستتحول إلى حقيقة لديهم؟!!

- التوقف هنا سيكون عند النسق ؛ بوصفه تراكما تاريخيا للأفكار و المعتقدات و التصورات لدى مجموعة بشرية معينة .
- و السياق؛ بوصفه المجال الذي تتفاعل فيه الأنساق القيمية و الثقافية . إذ يبقى الإنسان محكوم بتأثير تلك العاملين ، فهما المسؤولان عن تشكيله و تكوينه ، باعتبار ما يكتسبه من البيئة التي عاش في كنفها و تأثر بها و تفاعل بين ثناياها ،
- حيث أسبقية الواقع على الوعي . التاريخ هنا هو الثقافة ، و الثقافة هي التاريخ . حيث الانصهار العميق داخل الوحدة الاجتماعية ، بدلالة التعبير عن المجمل من القيم و المعتقدات و المعارف و الحضارة و الأعراف و القوانين و العادات و التقاليد.

● الدمج و الهيمنة

- احتكار المعنى من قبل النخب قام على فكرة الترويج لشرعية المقولة التاريخية و الترويج لها ، بوصفها حقيقة .
- فيما التاريخ لا يقوم على الحقائق بقدر ما هو وجهة نظر. الأحداث التاريخية مطروحة أمام الجميع ، كل شخص له القدرة على تحليلها ،
- و لكن ليس الجميع قادر على تفسيرها. و إلا ما معنى أن مؤرخا بوزن اليعقوبي 277 هجرية ، يروج لمقولة (سلطان غشوم خير من فتنة تدوم) .

- إنه التوظيف للتاريخ و جعله وسيلة لتمرير المصالح على حساب المجتمع ،
- التاريخ هنا يوظف للتلاعب بالعقول و التأثير بالمجمل من التفاصيل التي تحيط بالناس ، من خلال المسعى نحو غرس قيم بعينها ، و العمل على شرعتها ،
- و بالتالي فإن من يخرج عليها ، يعد خارجا عن النسق القيمي الذي يتم توضيحه و إعداده و إخراجها من قبل (التاريخ – الوسيلة)
- إنها الطريقة التي يتم بها الاستيلاء على المعاني ،

- و بالتالي التحكم بالمجمل من المعطيات التي تحدد مسار الشرعية . التاريخ هنا وسيلة للهيمنة و السيطرة من قبل أصحاب المصالح العليا على الجماهير ، دون اللجوء إلى القوة أو المال!
- هيمنة و سطوة تتم من خلال السيطرة على العقول ، و العمل على جعل الإدراك الجماعي متكيفا مع السياق الاجتماعي الذي تم تصنيعه في معمل التاريخ؟!!
- هذا الأخير الذي يتم تشغيله من قبل ؛ المنتصر ، القوي ، المهيمن ، المسيطر ، سمه ما شئت.

- **سطوة الماضي**
- الفهم الشعبي للتاريخ يقوم على منظور زمني ذو بعد واحد ، حيث يتم اختزال التاريخ بالماضي.
- فيما يتم تغييب الحاضر و المستقبل . زمن يخوض في نكوصية مفرطة ، حتى بات التاريخ يشكل عقبة كأداء في وجه كل تغيير محتمل.
- ما إن تتبدى أحوال المسعى نحو التحديث و التغيير ، حتى يتنادى أصحاب المصالح الراسخة متوعدين متصارخين (كل بدعة ضلالة)
- الراسخون في المصالح يفز عهم التغيير ، باعتبار تهديد مواقعهم الراسخة ، كل تجديد يعد تهديدا لوجودهم.
- و هكذا يبقى التاريخ يدور في حلقة مفرغة ، دون الوقوف على إنتاج للمعنى .

- **الخلاصة**
- التاريخ لا يقوم على الحقائق .
- التاريخ وجهة نظر.
- تحليل التاريخ يقوم على المعرفة و الوعي.
- تفسير التاريخ يقوم على المصالح الفرعية.
- التاريخ وسيلة للهيمنة و السيطرة و التلاعب بالعقول.
- التاريخ يكتبه المنتصرون .
- المهزوم فقط من يتذكر الماضي .
- التاريخ ليس الماضي فقط ، بل هو التفاعل الإيجابي مع الزمن.
- التاريخ هو الثقافة ، و الثقافة هي التاريخ.
- التاريخ مسؤول عن تشكيل وعي الجماهير .